MERS
MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN-NAHAR
Date : 14-10-93
Photo No. : 137

علاقة مرضية

غريب امر رجال السياسة والاعلام في هذا البلد. فهم عندما يسيرون في خط معين، لا يزحزحهم عنه شيء. يتراكضون لإدانة اتفاق الحكم الذاتي الفلسطيني ولا ينفكون يجترون ادانتهم، غير عابئين بما يحصل منذ توقيع ذلك الاتفاق. يتسابقون منذ اسابيع في لعبة التنديد بـ"التوطين"، ولا احد منهم يفطن الى استغراب غياب لبنان عندما تبحث قضية اللاجئين الفلسطينيين. بل قل ان احدا لا يكترث لمعاودة المفاوضات المتعددة الطرف الى بحث هذه المسألة.

ولكن لمَ العجب؟ فهؤلاء كلهم رجال مبادئ لا يتراجعون عنها قيد انملة.

رجال مبادئ؟ نعم، الى حد انهم ينسون السياسة. فالسياسة، ايها السادة، لا تقوم فقط على المسلمات. بالعكس، قد يحصل ان ما كان صحيحا يوما يصبح خطأ. وهذا تحديدا ما حدث في موضوع المفاوضات المتعددة الطرف. كان الغياب عن مؤتمر موسكو الذي افتتحت فيه تلك المفاوضات موقفا صحيحا، على الارجح. وكذلك كان صحيحا الامتناع عن حضور الاجتماعات اللاحقة. لكن هذا الامتناع نفسه تحول اليوم، وبسبب التغير الطارئ في مسار التسوية بعد اتفاق الحكم الذاتي، عامل اضعاف للبنان (كما لسوريا). وعليه، صار لزاما التمييز بين الثوابت التي لا جدل فيها، في المواضيع قيد التفاوض، وبين الثوابت "الوظيفية" التي يجب التخلي عنها من اجل التأقلم مع المتغيرات.

بكلام اكثر صراحة، ليس غياب لبنان عن اجتماع تونس خطأ سياسيا فحسب، انه فضيحة بالكامل، وربما وجب القول انها جريمة موصوفة اذا قسناها بمقدار الهلع الذي يثيره حديث التوطين في كل الاوساط السياسية والاعلامية اللبنانية.

لكننا نعود نقول ان الاخطر من الغياب اللبناني هو غياب ردود الفعل عليه وغياب الوعي الذي يتيح اجراء حساب الربح والخسارة. فلو كان هذا الوعي موجودا، لامكن على الاقل تخفيف حجم الخطأ من خلال شيء من "الحشرية"، حتى لا نقول التنسيق.

فبافتراض ان الاسباب "المبدئية" التي تبرر امتناع لبنان عن الحضور قاهرة فعلا، ما الذي يمنع المسؤولين الحكوميين من الاستفسار من منظمة التحرير او من اعضاء الوفد الفلسطيني عن خطة هذا الوفد وما ينوي طرحه في اجتماع تونس؟ اتراها الاسباب القاهرة نفسها؟ ام هو "العتب" اللبناني الرسمي على المنظمة لعدم استشارتها لبنان (وسوريا) قبل الاعلان عن اتفاق الحكم الذاتي؟ ام هي تلك الرواسب التي ما زالت تعكر العلاقة اللبنانية – الفلسطينية وتجعلها علاقة مَرَضية، لا يمكن اكتناه كل ابعادها بالحجج العقلية وحدها؟

ان تكون العلاقة اللبنانية – الفلسطينية ذات طابع مَرَضي، فهذا امر لا شك فيه. صحيح ان تجربة الماضي المشترك للشعبين غير كافية لتبرير هذا الطابع، وان بعض هذه الظواهر المَرَضية عارض يعكس الاضطراب الذي يسود علاقات لبنان بمحيطه كله. لكن المؤكد ان ثمة شيء لا عقلاني في مقاربة اللبنانيين للشؤون الفلسطينية. والا لما امكن فهم لماذا يصاب اللبنانيون، سياسيون ومعلقون على السواء، بالعمى فلا يرون مصلحتهم المباشرة، فيمتنعون عن البحث في حلول ستحكم مستقبلهم، ولا ينتبهون الى مجالات جديدة للتعاون والتنسيق مع الفلسطينيين، ليس فقط سياسيا وانما ايضا اقتصاديا.

سمير قصير